مأساة شعب .. وتبلّد ضمير !

بقلم عثمان سعدي

ان قيمة فرنسا او قيمة الشعب الفرنسي او قيمة الضمير الفرنسي في ميزان الانسانية العادل ، لا تقوم في التراث الفكري الفرنسي بالرغم مما فيه من آراء واحساسات انسانية ، لان هذه لم تعد النطاق النظري ولم تتجاوز الحدود الزمانية - المكانية الضيقة . ولا تقوم كذلك في « الليسيهات » او المعاهد الفرنسية المنتشرة في البلدان التي تربطها بفرنسا رابطة الصداقة ، لان هذه « الليسيهات » لا تضم الا اساتذة تعدهم وزارة الخارجية الفرنسية اعداداً كاملاً ليؤدوا رسالتهم الدعائية احسن تأدية . ولا تقوم كذلك فيما كتب عن الثورة الفرنسية ، لان مفهوم مبادىء هذه الثورة عند الفرنسي محدود ، فهذه المبادىء الثورية ليست مبادىء خالدة لديه ، وانما هي نوع من الحقوق مقصورة على جنس معين في زمن معين ووسط رقعة مكانية معينة اطلق عليها اسم فرنسا .. انا لا انكر ما في التراث الفكري الفرنسي وما في (الليسيه) او الجامعة الفرنسية من معانٍ انسانية سامية استفادت منها الانسانية في الميدان التطبيقي العملي ، ولكن الشيء الذي انكره وينكره الواقع المستمد من تاريخ فرنسا الحديث ان يكون الفرنسي اخلص لهذه المبادىء عندما اراد تطبيق آرائه في بلدان غير بلاده ، وعلى اجناس غير جنسه . **وما قيمة المبادىء اذا بقيت في الاطار النظري ؟**

لعل هذه السنوات الاخيرة كشفت عن تجاعيد وجه فرنسا ، فبدت الشخصية الفرنسية في الشرق الاقصى منذ سبع سنوات كما هي في الواقع ، لا كما تريد ان ترسمها الوسائل الدعائية المضللة ، فقد فهم الشرق الاقصى حقيقة مادة (ف ر ن س) فهماً عميقاً في هذه السنوات التي استغرقتها حرب الهند الصينية ؛ ويوشك الشرق العربي ان يفهم حقيقة المادة الآن بعد ان اندلعت ثورة المغرب العربي . ومن اراد معرفة الشخصية الفرنسية الحقيقية بابعادها : بغرورها وبكبرها الذي يقارب الشعور بالالوهية فليذهب الى المستعمرات الفرنسية . ومن اراد معرفة تبلد الضمير الفرنسي فليمعن النظر في موقف الشعب الفرنسي منذ سنة ١٨٣٠ حتى يومنا هذا ازاء طرق الابادة التي تسلكها السلطات الفرنسية والجالية الفرنسية في الجزائر للقضاء على العنصر الجزائري ولاحلال العنصر الفرنسي محله .

ان الجزائر منذ ان وطئتها اقدام الفرنسيين كانت مسرحاً لتيارين متناقضين : تيار انساني نضالي وهو الدفاع عن الشرق وعن الحرية وعن الكرامة الانسانية الذي يمثله العنصر الجزائري ؛ وهو لا يملك من الوسائل الدفاعية إلا ايمانه بحقه وبهذه الارض الجزائرية التي انعكس عليها هذا الحق وتأطرت فيها هذه الحياة ؛ وتيار آخر وحشي انتهازي يتعارض مع أبسط المعاني الانسانية يقوم به الجيش الفرنسي او الجالية الفرنسية في الجزائر تعززها كل ما اوتيت فرنسا من قوة السلاح والعتاد والتجارب الحربية : نزعتان متناقضتان نزعة تحريرية انسانية جزائرية ، ونزعة استعمارية وحشية فرنسية

« قبل ان نحكم ونستعمر ، يجب على الاهالي ان يقبلوا قوانيننا ، وهناك دليل على انهم لا يقبلونها الا بالقوة ، وهذه القوة تظل عاجزة اذا لم تؤثر على الاشخاص والمصالح . فاذا استمررنا في مراعاة الشعور الانساني ربما تظل الحرب قائمة في افريقيا الى الابد ، وبهذه الطريقة لا نستطيع ادراك واجبنا الوطني !! . »

الجنرال بوجو

دخلنا في صراع حاد منذ سنة ١٨٣٠ ولا زال هذا الصراع مستمراً الى هذه الايام...

ونحن في هذا المقام لا نريد ان نعرض لتـــاريخ هذا الصراع، لان هذا موضوع لا تحصره مجلدات .. وانما نريد ان نتناول مسألة اثيرت في هذه الايام واهتمت بها صحافة العالم واذاعاته، وانتشر هذا الاهتمام حتى وصل الى الدوائر الرسمية العربية، وهذه المسألة هي « الضمير الفرنسي » : لقد اغترت بعض العقول اللينة بهذا الاصطلاح المبتكر في قاموس الاستعمار الفرنسي فظنت ان الضمير الفرنسي هو الذي سيمنح حقوق الشعوب المغلوبة على امرها ...

واذا ما قسنا الضمير بالمقياس العلمي النزيه قلنا بـــأنه : **تلك القوة التي تكمن في كيان فرد او شعب والتي تعترف بالحق فتعززه وبالواقع فتجابهه منقادة الى هذا الاعتراف بنزعة انسانية مكتسبة من تجارب حية مستمدة من الامتداد التاريخي للانسان.** هذا هو تعريف الضمير، فلنفرض جدلا كما يقول المناطقة ــ ان هناك شيئاً يقال له الضمير الفرنسي ولنحاول ان نقيسه بهـــذا المقياس الحقيقي .. هل اعترف الفرنسي بالحقيقة منذ ان دخل الجزائر ؟ هل جابه الواقع ؟ وهل هذا الاعتراف او هذه المجابهة جاءت تلقائية ام اثر قوة مرغمة ؟

لم تقصر الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي في تأدية واجبهـــا الانساني نحو جاراتها التي منها فرنسا . لقد بلغت ديون الجزائر على فرنســا عشرات من ملايين الفرنكات الذهبية قبـــل الاحتلال. والغريب ان فرنسا في السنة التي سبقت الاحتلال كانت قد استغاثت بالحكومة الجزائرية اثر مجاعة اصابتها فاصدرت لها هذه سفناً من القمح وأجلت دفع الثمن نظراً للظروف الاقتصادية الفرنسية ... الا ان الفرنسيين في سنة ١٨٣٠ بدل ان يرسلوا وفودهم ليسددوا ديون الجزائريين وليشكروا هذا الشعب الذي فرج عليهم في ايام محنتهم كما يفعل كل كريم... ارسلوا جيوشاً لتقوم بغزوة مبيتة على الجزائر غير المستعدة لحرب ، وليقلقوا راحـــة شعب كان بالامس القريب يغرق الشواطىء الفرنسية بسفن القمح ليســد هناك ارماق الجماهير الجائعة المستغيثة .

هكذا بدأت فرنسا تخط صفحة في تاريخها الاسود ، فما ان دخـــل الجيش الفرنسي الجزائر حتى بدأ الضباط الفرنسيون يعيثون في الارض فساداً ويشاركون شعبهم في هذه الاعمال الوحشية . لقد كانوا يكتبون الى عائلاتهم الرسائل المطولة يصفون فيها الحقول المجروفة والبساتين المنهوبة وايدي النساء المقطوعة باساورها ، بل انهم يتجرأون احياناً فيرسلون الاكياس المليئة بالآذان والانوف ونهود النساء الجزائريات . وكانت عائلاتهم تتلقى هذه الرسائل بشوق وتلتهم ما فيها بشغف وربما جعلت لها اطراً وعلقتها على جدران الصالونات حتى تري الزائرين مساهمة ابنائها في هذا الشرف الفرنسي الذي لا يباريه شرف .. لقد كان الضابط لا يصل الى رتبة الشهرة الا اذا ابادآلافاً من الاهالي العزل الامنـاء كالجنرال بيليزن Berlhezene الذي لم ينكر اعماله الاجرامية حتى بعض المؤرخين الفرنسيين . والجنرال بيليسيه Pelessier الذي احرق في حملـة واحدة اكثر من الف جزائري في كهوف نكماريا . لقد كانت جائزة كل ضابط يستولي على منطقة ، التملك بارضها بعد طرد اصحابها منها .. فاين هي الروح العسكرية في اعمال كهذه الاعمال الاجرامية ؟

ثم مضت سنون وتلتها سنون وجاءت الحرب العالمية الثانية التي خرج منها الجيش الفرنسي يجر اذيال الهزيمة والعار بعـد ان انقذتـه الجيوش الاميركية من ابادة النازيين . وفي يوم ٨ مايو ١٩٤٥ ، اي يوم انتهاء الحرب ، فكرت فرنسا في هدية تقدمها بهذه المناسبة للشعب الجزائري الذي حارب ابناؤه جيش النازيين الى جانب الحلفاء ، والذي شهد لـه الخبراء العسكريون العالميون بالتفوق في الميدان العسكري ، فكرت فرنسا في هدية تقدمها الى هذا الشعب الجزائري الذي جعلت من تربته قوتاً لابنائها ومن شبابه حمى لسيادتها ، ومن معادنه مواد اولية لمصانعها ، فما كانت هذه الهدية الفرنسية للجزائر النصيرة ؟... هي ابادة ٤٥ الفا من زهرة شباب الجزائر ... لقد اغتنمت فرنسا فرصة قيام مظاهرات سلمية تطالب بحقوق الشعب التي وعدت بها على منصة روزفلت الرئيس الامريكي قبل دخولها الحرب ، اغتنمت هذه الفرصة فحولت طيرانها ليدك اربعين قرية جزائرية ، وليمحوها من الوجود ، وحولت اسطولها البحري ليدك مدينة كخراطة وليسفها بسكانها العرب ، وارسلت بمشاتها لكي يبقروا بطون الحبالى، وليرتكبوا جرائم تقشعر لذكرها الابدان، فكنت ترى الجندي وبيده قرط يقطر دماً ، او يد باساورها ملطخة بالدماء او ... أو ... من هذه الفظائع التي لا يتقنها الا الفرنسيون المتوحشون المجردون من كل حس انساني ، والتي تجعل كل من له ذرة من الاحساس بانسانيته يخرج من طوره كلما تذكرها او استعرضها في مخيلته.. نعم لقد قتلت فرنسا ٤٥ الفاً من الجزائريين في مدة لا تتجاوز ثلاثة ايام . وان الانسان ليدخل الان مدينة كخراطة او مدينة كقالمة فلا يجد فيها الا الارامل واليتامى، اما الرجال واما الكهول فهذه عناصر تكاد تكون

روسيا الجديدة

بعد موت ستالين

للصحافي شابيرو

الذي عاش في الاتحاد السوفياتي طوال عشرين سنة فعرف اسرار اقطاب الحزب الشيوعي واتجاهات سياستهم

صدر اخيراً عن دار المكشوف

مفقودة من هاتين المدينتين . نعم لقد جاء الجيش الفرنسي جيش الحرية والاخاء والمساواة في هذا اليوم ليمسح عنه عار الهزيمة والتخاذل امام النازيين لكن .. اين جربت هذه البطولة يا ترى ؟ انها جربت على اهالي عزل حتى من بنادق الصيد ..

لننظر الان في رسالة التعليم بالجزائر : فاللغة العربية لا تعترف بها فرنسا في هذه البلاد التي يتكلم اهلها العربية ويعتبر كل من يقوم بتعليمها او تعلمها شاذا عن القانون ويعتبر كل من يحمل شهادة عربية ليس له حق لا في التوظيف ولا في التدريس .. اما تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر فيعتبر من رسالة فرنسا المقولة « التمدينية في البلدان المتأخرة !! » فكثيراً ما تشدق الفرنسيون بأنهم بنوا المدارس والجامعات للجزائريين .. فاذا نظرنا الى هذه المدارس التي بنوها والى هذه الجامعات التي اقاموها وامعنا النظر في نصيب الجزائريين منها ، نرى كاتباً كـ « بيير مورلان » يقول في رسالة حصل بها على درجة الدكتوراه من إحدى الجامعات الفرنسية : « لا يجب ان ننظر الى المواطن الجزائري و كأنه ذو عقل شبيه بعقلنا ، واذا فكرنا في ان التعليم يستطيع ان يغيره تغييراً كاملاً ، فاننا نخالف بذلك بل نتجاهل قانون التطور الثابت »، وهكذا يكون الجزائري في نظر النخبة الفرنسية الواعية المثقفة ليس له عقل شبيه بعقل الفرنسي !

هذا هو منطق الفرنسيين وهذه هي احكامهم في القرن العشرين، احكام يسيرها التعصب الاعمى، والعنصرية المقوتة وتتقبلها لجان المناقشة في جامعاتهم بصدر رحب وربما اجازت اصحابها بالدرجات العالية !

لقد ذكر هنري بورجو المفتش في تقرير قدمه لوزارة المعارف العمومية الفرنسية ما نصه : (قال لي مرة وكيل مدير مدرسة في الجزائر عندما كنت اتحدث اليه عن ضرورة اغراء الوطنيين العرب بدخول مدارسنا « ان هذا الجنس يجب ان يزول »). نعم ان الفرنسي يؤمن بأن الجزائري جنس لا يستحق الحياة ، جنس تجب ابادته لكي يحل محله جنس آخر يستحقها !! هذه هي فلسفة كل الفرنسيين ، وقد عملوا لها باخلاص منذ دخولهم الجزائر الى الآن .. عملوا لها عن طريق الابادة العسكرية الجماعية ، عملوا لها عن طريق الآفات الاجتماعية كالفقر والمرض والجهل التي بثوها بين الجماهير الجزائرية : **ان الفقر والمرض عنصران يسيران جنباً الى جنب بازاء الطائرات والاساطيل البرية والبحرية الفرنسية منذ ١٨٣٠ ، لتطبيق سياسة الابادة في الجزائر ، لكن سنة الطبيعة وقوة الشعب الخفية الغامضة جعلت الجزائريين يتماسكون ويأخذ هذا بيد ذاك ويخرجون من الازمات وهم منتصرون عليها جميعاً.**

لقد قام مسيو روجيه رئيس المجمع العلمي في الجزائر باجراء مقارنة بين عدد التلامذة الجزائريين وبين عدد التلامذة الفرنسيين في الجزائر فاعطى الاحصاءات الرسمية الاتية عن عام ٤٣ – ١٩٤٤ :

اولا : كان عدد الصبيان الذين بلغوا سن الدراسة من الجزائريين ١,٢٥٠,٠٠٠ صبي من بينهم ١٠٠,٠٠٠ فقط يتلقون التعليم الابتدائي .

ثانياً : كان لدى السكان الفرنسيين ٢٠٠,٠٠٠ صبي يتلقون كلهم التعليم في ١٤٠٠ مدرسة تحتوي على ٤٢٠٠ فصل .

ثالثاً : اي انه كان عدد التلامذة الفرنسيين ضعف عدد التلامذة الجزائرين مع ان عدد الفرنسيين اقل بنسبة كبيرة جداً من عدد السكان الجزائريين (نسبة السكان الفرنسيين الى الجزائريين = ٩٪)

رابعاً : اما النفقات التي خصصتها الميزانية الجزائرية للتعليم الابتدائي فهي كما يأتي :

٨٨٠ فرنكاً لكل تلميذ جزائري في مقابل ١٦٠٥ فرنكات لكل تلميذ فرنسي .

هذا هو التعليم الابتدائي وهذا هو نصيب الاطفال الجزائريين منه ، فعدد التلامذة الفرنسيين ضعف عدد التلامذة الجزائريين رغم ان عدد السكان الفرنسيين مليون في مقابل ١١ مليون جزائري . والتكاليف المخصصة للتلميذ الفرنسي ضعف التكاليف المخصصة للتلميذ الجزائري.

واما التعليم الثانوي والعالي في الجزائر حسب الاحصائيات الرسمية فهو

مجموعات «الآداب»

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثلاث الاولى من « الاداب » تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «

كما يأتي :

التعليم الثانوي : بلغ عدد الطلبة الجزائريين في المدارس الثانوية حسب احصائية سنة ١٩٥١ : ٣٦١٥ طالباً في مقابل ٢٥٥٠٠ طالب فرنسي ، فنسبة الطلبة الجزائريين في المدارس الثانوية للطلبة الفرنسيين هي ١٢ ٪ بينما نسبة السكان الجزائريين للفرنسيين ٩١ ٪ .

التعليم العالي : ان التعليم العالي في الجزائر مهزلة كبرى ، فاللغة الاساسية للجامعة الجزائرية هي الفرنسية وفي كلية الاداب قسم للغة العربية هزيل. ومن اجل ذلك فمن النادر جداً ان نجد من له جرأة المخاطرة بمستقبله الثقافي والانتساب الى هذا القسم ١ . واما احصاء الطلبة في جامعة الجزائر حسب احصائية الولاية العامة الرسمية لسنة ١٩٥١ فهي كما يأتي « ٤٠٠٦ طلاب» في مقابل ٣٩٨ طالباً جزائرياً » . اليست هذه مهزلة وفضيحة لفرنسا التي تتشدق دائماً بألفاظ كالعدالة الفرنسية ورسالة الفرنسي التمدينية في البلدان المتأخرة ؟ امن العدالة ؟ اباسم المدنية ان يخصص الفرنسيون الجامعة الجزائرية لابنائهم ويحرموا منها ابناء الشعب الذي نبت من تربة هذا الوطن والذي بنى هذه الجامعة بدمه وعرقه وكده ؟

١ ان المدرس في هذا القسم يشترط فيه ان يكون مستشرقاً ، او تخرج على يد المستشرقين وانه لمن المحرمات ان يكون من بين اساتذة هذا القسم من كان يحمل شهادة من احدى الجامعات الفرنسية ..

ويتشدق الفرنسيون انهم عبدوا الطرق في الجزائر واقاموا السدود واستخرجوا المياه . نعم لقد عبدوا الطرق ومدوا السكك الحديدية الا ان هذا لم تستفد منه الا مستعمراتهم والمدن الكبرى التي يسكن اغلبها الفرنسيون . اما المناطق التي يتكاثف فيها عدد السكان الجزائريين فانها خالية من المواصلات بتاتاً ، ولا يزال الاهالي حتى الآن يضطرون الى قطع عشرات الاميال للوصول الى اقرب طريق او الى اقرب محطة للسكك الحديدية. حقاً... لقد استخرجوا المياه وبذلوا جهوداً كبرى لانشاء الخزانات الا ان هذا حدث في اراضي المستعمرين الفرنسيين بينما اهملت جميع الاراضي التي يقيم فيها الفلاحون الجزائريون التي تحتوي على ثلاثة ارباع الاهالي . لقد جاء في ملحق ميزانية المياه عن عام ١٩٥٠ – ١٩٥١ : بأن الخزانات التي تستفيد منها قرى المستعمرين خصص لها لعام ١٩٥٠ – ١٩٥١ اعتماد قدره : ١٦١٨ مليوناً من الفرنكات مع تعهد باعتماد مبلغ ١١٢٥ مليونا لعام ١٩٥١ – ١٩٥٢ واعتماد ٤٠٠ و٥١٠ ملايين لعام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ بينما خصص لميزانية المناطق التي يسكنها الجزائريون اعتمادات قدرها ٢٤٠ مليوناً لسنة ١٩٥١ – ١٩٥٢ و ٣٠٠ مليون لسنة ٥٢ – ١٩٥٣ . وتوجد الى الآن في الجزائر قرى بأكملها يعد سكانها بعشرات الالاف لا تشرب من المياه المكررة المستخرجة بالطرق الفنية الحديثة بل تضطر الى استجلاب المياه من المنابع النائية عنها التي تنبع تلقائياً ، وكثيراً ما تجف هذه المنابع او تغور فيعز الماء وتموت الحيوانات عطشاً ..

ويتشدق الفرنسيون بانهم اصلحوا الاراضي الجزائرية وكيفوها بالطرق الفنية الحديثة فزاد محصولها وكثر انتاجها . حقاً .. لقد ادخلت اصلاحات على الاراضي الجزائرية الا ان هذا الاصلاح حدث بعد ان استولت السلطة على اخصب الاراضي ووزعتها على مجموعة قليلة من المزارعين الفرنسيين ، لقد كان الضابط الفرنسي – ايام الاحتلال – يجازي باراضي المنطقة التي يستولي عليها ، واذا علمنا بأن الجزائر لم تستسلم مرة واحدة لجيش الاحتلال بل استمرت حرب المقاومة مدة ٧٤ سنة سقطت خلالها الجزائر شبراً شبراً ، وجدنا بان الاراضي الصالحة كلها استولى عليها العسكريون الفرنسيون كغنيمة حربية بعد ان طردوا اصحابها الى المناطق الجبلية الصخرية او الصحراوية القاحلة . وتنص الاحصائيات الرسمية على ان الممتلكات العقارية في الجزائر تبلغ ٢١ مليوناً من الهكتارات يملك الجزائريون منها ملكاً شخصياً ٩ ملايين و١٢ مليوناً تملكها ملكاً شخصياً شرذمة من الاقطاعيين الفرنسيين ، واذا علمنا بان عدد الشعب الجزائري ١١,٠٠٠,٠٠٠ كله يعيش على الزراعة مع الملاحظة بأن الجزائريين محرومون من الامتيازات التجارية ومن الوظائف الحكومية ، واذا علمنا بان المليون فرنسي الموجودين بالجزائر هم الذين يؤلفون طبقة الموظفين الصغار والكبار من الشرطي البسيط والسكرتير الصغير الى الحاكم العام ، وهم الذين يؤلفون طبقة التجار من البدال حتى تاجر الجملة ، وهم الذين يؤلفون الاغلبية الساحقة من طبقة المدرسين والمحامين والاطباء بحيث تصير هذه الـ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ مليوناً من الهكتارات الجيدة موزعة على طبقة صغيرة من الفرنسيين تؤلف اقطاعيات ضخمة ، واذا علمنا بان ٩,٠٠٠,٠٠٠ من الهكتارات الشاملة للرديء والجيد موزعة على ١١,٠٠٠,٠٠٠ من الفلاحين الجزائريين المحرومين من مساعدات المصارف واعتمادات البنوك والعون الحكومي، في حين ان المزارعين الفرنسيين انشئت لهم مصارف محلية زراعية وجمعيات

صدر اليوم

القسم الثالث

(اي القسم الاول من الجزء الثاني)

من الموسوعة الاقتصادية الكبرى

رأس المال

كارل ماركس

الاساس الفكري للاشتراكية ونظرية الطبقات

وثيقة الاعدام ضد الرأسمالية والاستعمار

يعرض الوف الكتب الاقتصادية وينقدها

الكتاب الذي وضع فيه كارل ماركس اساس

الاشتراكية العلمية فكان ركيزة للثورة الاشتراكية

في العالم

الترجمة الحرفية الكاملة

لاول مرة في اللغة العربية

تصدر في عشرة اقسام متتالية

الثمن ٣٠٠ ق.ل. للقسم

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

شارع المعرض ـ ص، ب ١٧٦١

تعاونية وفتحت امامهم ابواب كل البنوك الاخرى يأخذون منها القروض التي يريدون ، واحتضنتهم الحكومة الفرنسية فضمنت لهم بيع منتوجاتهم وابدت استعدادها لمساعدتهم بالقروض الضرورية لهم – اذا علمنا هذا كله بدت لنا المساواة التي يتشدق الفرنسيون بانها من ابتكاراتهم واضحة لا يشوبها غموض . ان فرنسا شجعت النظام الاقطاعي في الجزائر وقدمت جميع التسهيلات للاقطاعيين الفرنسيين فنتج عن هذا ان شلت الآلات خدمة الارض وشلت الايدي العاملة التي بقيت من نصيب الجماهير الجزائرية الكادحة ، وحتى هذه المجموعة القليلة التي بقيت تسد فراغاً ضرورياً للجهد البشري في الاقطاعيات الفرنسية – تمثل طبقة صغيرة من العبيد، فالعامل الزراعي الجزائري يتقاضى ثلاثمائة فرنك في اليوم (بينما يتقاضى العامل الزراعي في فرنسا ٢٠٠٠ فرنك يومياً) .وهذه الطبقة من العمال الزراعين بالجزائر محرومة من التأمين الجماعي ومن تشكيل النقابات ومن كل الامتيازات التي يتمتع بها العمال في عالم القرن العشرين . ونتج عن تشجيع الادارة الفرنسية الاستعمارية للنظام الاقطاعي ندرة المنتوجات الغذائية الضرورية وكثرة المنتوجات الثانوية لان المزارع الفرنسي لا يراعي حاجة المجتمع الجزائري وانما ينظر الى ربحه فقط .. وهكذا افتكت الاراضي من القمح وزرعت كرما فمز القمح حتى صار يستورد من الخارج وكثر الخمر حتى صارت الجزائر اول بلد في العالم ينتج الخمر الذي لا يشربه الشعب الجزائري مراعاة لتقاليده ودينه ..

هذا هو الوجه الحقيقي لفرنسا بعد ان تغسل عنه المساحيق . وهؤلاء هم الفرنسيون الذين ملأوا الدنيا تشدقاً بانهم هم الاساتذة للحرية والاخاء والمساواة، جاءوا الجزائر فوجدوا شعباً غنياً فافقروه واجاعوه، ومتعلماً فسدوا امامه كل ابواب الثقافة وحرموه من امكانيات التعليم[1] حتى تسهل ابادته . وما فشل الفرنسيون في الحصول على صداقة الجزائريين الا لانهم كانوا مغرورين متكبرين يتخيلون انفسهم هم الآلهة على هذه الارض . لقد تبحث عن الفرنسي في الجزائر فتجد ان اباه وجده ولدا بهذه البلاد، لكن هذا لم يمنع من ان يدعوا كل جزائري (محمداً) وكل جزائرية (فاطمة) .. لقبان يطلقهما الفرنسيون على كل جزائري وجزائرية كما يطلق باشوات مصر واجانبها (عبدو) على كل خادم في بيت . ان الفرنسي في الجزائر لا يعرف كلمة عربية واحدة لانه يعتبرها لغة « البيكو » والبيكو اصطلاح فرنسي في الجزائر وهو يعني « قذر » ، وكل عمل دنيء فهو « عمل عربي » travail arabe :تسمع هذه العبارة مئات المرات من الفرنسيين في شوارع المدن الجزائرية وفي اقسام المدارس وحتى في مدرجات الجامعة ..

لكن ما هو السر الذي جعل الجزائريين يحافظون على توازنهم رغم كل الوسائل الابادية التي اتخذها الفرنسيون معهم ؟ السبب هو تلك الروح التعاونية التي وجدت منذ القدم بين الجزائريين والتي جاء الاسلام فشجعها من بعد، والتي بقيت مستمرة حتى الآن رغم كل الوسائل التي اتخذها الفرنسيون للقضاء على هذه الروح لخلق النزاع بين الطوائف الشعبية . ان النظام التعاوني المستحدث الان في العالم الاشتراكي بين المزارعين ، عرفه الجزائريون بصورته البسيطة الكاملة منذ اقدم العصور .(فنظام المشاركة الذي لا زال موجوداً الى الآن بين مزارعينا الجزائريين والذي هو عبارة عن اجتماع مزارعين فاكثر واستغلال اراضيهم وبذرهم ومجهودهم في عمل زراعي موحد ، ونظام الحماسة . ونظام القطاعة التي لا زالت الى الان متبعة بين مزارعينا الجزائريين ، كلها اصطلاحات تدخل في قاموس الروح

صدر حديثاً

وميض النار في المغرب العربي

بقلم : خيرات البيضاوي

في سلسلة الدراسات السياسية الوطنية :

أضواء على السياسة العالمية

من منشورات : دار البيضاوي - بيروت

الثمن : ١٠٠ غرش لبناني او ما يعادلها

١ كانت نسبة المتعلمين بالجزائر سنة ١٨٣٠ بدء الغزو الفرنسي – ٩٠ ٪

التعاونية الزراعية) . ان الجزائري يتقاسم لقمة العيش البسيطة مع جاره واخيه ولا يرضى ان يأكل منفرداً في الوقت الذي يجوع فيه اخوه بجواره. ان هذه الروح التعاونية خلقت في الشعب الجزائري قوة خفية جعلته يقف بثبات امام القوى الفرنسية الاستعمارية المادية مدة قرن وربع قرن، وهذه القوة الخفية هي التي جعلت الشخصية الفرنسية في التاريخ الحديث تبدو الى جوار الشخصية الجزائرية كما يبدو القزم الى جوار العملاق .. هذه ببنادقها وآلاتها وتلك بطاقاتها الروحية وبقوتها التعاونية . **حقاً ان الاستعمار لمخلوق صغير الى جانب عملقة الشعوب !**

لقد حدث في هذه الايام ضجيج واي ضجيج !! احدثته النخبة الفرنسية حول القضية الجزائرية ، وحول الظلم المسلط على الشعب الجزائري ، وحول القضية المغربية عموماً ؛ الا ان هذا الضجيج جاء بعد اوانه : بعد ان انطلق الرصاص من الجزائري ، وصوب الى صدور الفرنسيين المستعمرين ، وبعد ان تجاوز الجزائري تلك المرحلة التي كان يتحمل فيها كارها قنابل الطيران الفرنسي وقذائف الطرادات الفرنسية وصار يدافع عن نفسه بنفس السلاح الذي يتخذه اعداؤه .. وهذا ما لم يتعوده الفرنسيون من الجزائريين منذ نصف قرن ... لقد جاء هذا الضجيج بعد اندلاع الثورة الجزائرية يوم اول نوفمبر ١٩٥٤ وبعد ان شملت هذه الثورة كل طبقات الشعب الجزائري وكل امتداد القطر الجزائري بعد سنة ، وبعد ان وقف الجيش الفرنسي باساطيله البحرية والبرية والجوية وبتجاربه الحربية وببطشه الجماعي الوحشي وبثلاثمائة الف جندي امام قوة الشعب المصممة ، مكتوف الايدي . لقد جاء ضجيج النخبة الفرنسية والمفكرين الفرنسيين بعد هذا كله وكان مقصده وغرضه هو خدمة فرنسا في شمال افريقيا بطرق جديدة استعمارية ..

ونحن نعد قراء « الآداب » على ان نعود إلى دراسة هذه النقطة الحساسة الشائكة في مقال آخر سوف نعنونه بـ « ازمة الفكر الفرنسي امام النضال الجزائري » .

فالى اللقاء ...

القاهرة — **عثمان سعدي**

قريباً سيصدر — منشورات

عن :

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم

من ذوي السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن

ابن خلدون المغربي

في عشرين جزءاً تظهر تباعاً

- يعتمد في اخراجه اوثق المصادر .
- يقوم بتحقيقه والتعليق عليه نخبة من اكابر علماء الادب والتاريخ .
- يذيّل بعدة فهارس تاريخية وعلمية .
- يضبط بالشكل ضبطاً شبه كامل ويخرج اخراجاً انيقاً .
- ثمن الجزء ثلاث ليرات لبنانية او ما يعادلها .
- قيمة الاشتراك في العشرين جزءاً خمس وخمسون ليرة لبنانيه ، بما فيها اجرة البريد لجميع بلدان العالم .
- فالرجاء ممن يرغبون في الاشتراك في مجموعة « تاريخ العلامة ابن خلدون » ان يبادروا الى ارسال عنوانهم الكامل مع حوالة او شك بقيمة الاشتراك ضمن تحرير مضمون على العنوان التالي :

عبد الكريم وحسن الزين صاحبا دار الكتاب اللبناني :

بيروت . ص . ب ٣١٧٦

الموزع العام للبلاد العربية : المكتب التجاري – بيروت

الموزع العام في شمال افريقيا : مكتبة النجاح – تونس